التأسيس العقدي لدى الأطفال
رسالة تعليم الصبيان التوحيد أنموذجا

دكتورة/ هدى بنت محمد الغفيص
أستاذ العقيدة المشارك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**) (سورة آل عمران ١٠٢) ، (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**) (سورة النساء ١) ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) (سورة الأحزاب ٧٠-٧١) أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[١]

ثم إن من نعم الله جلا وعلا أن يوفق عباده لتعلم أشرف العلوم وهو العلم به سبحانه بربوبيته وأولوهيته وأسمائه وصفاته،

وهذا جماع الإسلام الذي دارت حوله ومن أجله دعوة الرسل من نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو وصية أب الأنبياء إبراهيم عليه السلام لبنيه في قوله تعالى ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ (سورة البقرة ١٣٢) ووصى لقمان ابنه حينما أوصاه تلك الوصية الجامعة في قوله تعالى﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ**

(١) هذه الخطبة تسمى عند أهل العلم بخطبة الحاجة وهي مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي تشرع بين يدي الحاجة وقد أخرج مسلم بعضها في صحيحه كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢-٥٩٣) برقم ٨٦٧-٨٦٨

الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة لقمان ١٣) فابتدأها بتحذيره من الشرك بالله ، وما أرسل سبحانه من رسول الا كان أساس دعوته وبدايتها توحيد الله جلا وعلا ، قال سبحانه ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾(سورة النحل ٣٦).

تلك دعوتهم وهذا نهجهم الذي سلكوه من أول الرسل الى محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ (سورة الأنبياء ٢٥).

ولا شك أن أعز ما يسعى المرء لإنقاذه هو نفسه التي بين جنبيه ثم أهله ، ولوألقينا نظرة في حوار الأنبياء مع أبنائهم للمسنا ذلك الشعور الذي يفيض حناناً وخوفاً عليهم من سلوك سبيل غير المهتدين ، من أمثلته نداء نوح عليه السلام لابنه في قوله تعالى ﴿ **وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ (سورة هود ٤٢) وتلك العاطفة عامرة في قلوب كل من رزقه الله الولد وهذه فطرة فطر الله الناس عليها ، فلا أحرص على سلامة ونجاة الأولاد من والديهم .

ولكون سلامة العبد مرهونة بسلامة عقيدته ولكون تلك العناية من أنبياء الله ورسله عليهم صلوات ربي وسلامه عليهم ؛ وعلى نهجهم سار سلفنا الصالح ، رغم أن أقطاب المضلات نفس وهوى و شيطان ، فما بالنا بزماننا هذا الذي قرب البعيد ويسر العسير، وأصبح الكوكب كله بين يدي أولادنا صغاراً وكباراً بصالحه وطالحه ، مما أوجب على الوالدين ضرورة الإحساس بعظم المسؤولية وإدراك أن الوقاية تتطلب عملاً وجهداً وخططًا مرسومة تُعنَى بغرس الأولويات ، متبنين منهجًا علميًا لتأسيس العقيدة وفق ما ورد في كتاب الله وماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالعناية بهذا الجانب نتعبد بها الله جلا وعلا سائرين على منهج المصطفى والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وحينما وقفت على مُؤلَفٍ للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عنونه بـــــــ (تعليم الصبيان التوحيد) فكان هذا الاهتمام من شيخنا رسالة لنا جميعا بضرورة العناية بتعليم صبياننا التوحيد وتحمل مسؤولية تعليمه لأولادنا تلقيناً ومنهج حياة ، فاستخرت واستعنت بالله للكتابة في :

التأسيس العقدى لدى الأطفال.. رسالة (تعليم الصبيان التوحيد) أنموذجا

لنتعرف من خلاله على أهمية التأسيس العقدي ، وعلى عناية الإسلام به ، ودورنا الوالدين تجاه الأطفال وهم الرعية التي استرعانا الله إياها وسنُسأل عما عملنا في سبيل رعايتها ، ولنتعرف على منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في تأسيس العقيدة لدى الأطفال، و قبل الحديث عن منهج الشيخ رحمه الله في التأليف سنورد له ترجمة يسيرة معرفين بنسبه ومولده ونشأته وشيوخه رحمه الله.

وسيكون عرضي للموضوع إن شاء الله من خلال مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.وأساله سبحانه الإعانة والتوفيق.

مشكلة الدراسة:

يسعى هذا البحث إلى الإجابة على السؤال العام : مادور الوالدان في التأسيس العقدي للأطفال ويندرج تحت هذا السؤال عدد من الأسئلة

١- ما أهمية التأسيس العقدي للأطفال؟

٢- ما المنهجية المناسبة في تعليم العقيدة للأطفال ؟

٣- ما القضية العقدية اللتي ينبغي أن يركز الوالدان على غرسها والعناية بها؟

٤- كيف يحقق الوالدان الرعاية لما فطر الله عليه كل مولود؟

٥- هل يمكن تطبيق منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته (تعليم الصبيان التوحيد) عملياً ؟

أهمية الموضوع:

١-أن أَولى ما ينبغي أن نعتني به سلامة العقيدة.

٢-دور الوالدين في تأسيس الأسرة على المنهج الصائب فى تعلم العقيدة وتعليمها.

٣-أن سلامة العقيدة ستنعكس إيجاباً على صلاح القيم لدى أفراد الأسرة.

٤-منزلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله العلمية ، وعنايته بتأليف رسالةٍ في التوحيد للصبيان تأكيدٌ على العناية بهذه الفئة .

٥-توعية المجتمع حيال خطورة الغفلة عن إصلاح العقائد .

٦-ما قد يحصل من تقصير من الوالدين تجاه واجباتهم في تعزيز ورعاية عقيدة الأولاد .

٧-ظهور بعض الممارسات الشركية التي تستدعي المبادرة بالتوعية والتصحيح .

أسباب اختيار الموضوع:

١- القيام بدورنا كمتخصصين في هذا العلم بواجبنا الشرعي .
٢- الكتابة فيما نرى الحاجة ماسة لتناوله والمبادرة بإيجاد المعالجة العلمية تجاهه
٣- توعية الوالدين بدورهما المهم في غرس العقائد وما الأولويات التي يلزم العناية بها .
٤- الحرص على دراسة منهج علمائنا رحمهم الله في التعليم من خلال دراستي لمنهج الشيخ رحمه الله في تأليف رسالته .

تمهيد:

عند الدراسة لهذه الرسالة القيمة يحسن بنا التعريف أولا بعنوان البحث

التأسيس العقدي لدى الأطفال

حيث جاء متضمنا عدة مفردات ، فنبتدئ بتعريفها كلٌّ على حدة ثم نوضحه بشكل إجمالي ، فأما المفردات الواردة في العنوان فهي :

التأسيس :

- معنى التأسيس في اللغة والاصطلاح:

معنى التأسيس في اللغة من أسس(والأَسَس والأَساس: كُلُّ مُبْتَدَإٍ شيءٍ. والأُسُّ والأَساس: أَصل الْبِنَاءِ)[1]

وقال الجرجاني (التأسيس عبارة عن إفادة معنى آخر لم يكن أصلًا قبله)[2]

العقدي :

- معنى العقدي في اللغة والاصطلاح:

العقدي اسمٌ منسوب إلى العقيدة .[3]

ومعنى العقيدة في اللغة : من عَقَدَ ، قال ابن فارس[4] : (عَقَدَ قَلْبهُ عَلَى كَذا فلا ينزعُ عنه) [5] ، و (عَقَدَ الحبْلَ والبيْعَ والعهْدَ يَعْقدُهُ عَقْدًا فَانْعَقَدَ شِدَّةً).[6]

والعقيدةُ في الاصطلاح : (هي الأسس التي يقوم عليها الدين، اعتقادية وعلمية وعملية) [7]، ومتى ترسخت في القلب صدقتها الجوارح وهذا (هو الإيمان فلا ينفع العلم وحده، ولا ينفع العمل وحده).[8]

(1) لسان العرب (٦/٦).

(2) التعريفات (٥٠)

(3) حيث أن النسبة إلى عقيدة : عَقَدِي ، ولا نقول: عقِيدِي؛ لأن المنسوب إلى وزن (فعيلة) تحذف ياؤه ، وتفتح عينها .
وللاستزادة انظر : شرح ألفية ابن مالك لابن عثيمين (٥٩٧/٣).

(4) هو : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ،العلامة اللغوي المحدِّث ،من مؤلفاته : معجم المقاييس في اللغة، اختلاف النحويين ، وتوفي سنة (٣٩٥ هـ) .
انظر : بغية الوعاة (٣٥٢/١) ، الأعلام (١٩٣/١).

(5) معجم المقاييس في اللغة صـ (٦٧٩) .

(6) تاج العروس (٥ / ١١٥) مادة " عَقَدَ " باب : الدال ، القاموس المحيط صـ (٣٨٢) .

(7) مجمل أصول أهل السنة (١/ ٤).

(8) التعليقات السنية صـ (١٢).

الأطفال :

- معنى الأطفال في اللغة والاصطلاح

الأطفال ومفردها طفل و (الطفل : الصبيُّ ، ويقع على الذكر والأنثى)[1] ، هذا من حيث الجنْس ؛ أمَّا من حيث العمر فالطفل : (الصبيُّ يُدْعَى طفلاً حين يسقطُ من بطْن أُمِّه إلى أنْ يحتلم) .[2] [3]

و(مرحلةَ الطفولةِ المبكِّرَة ، وهي عُمُرِيًّا من سنِّ الثالثةِ حَتَّى السادسةِ ، وتربويًّا هي مرحلةُ رياضِ الأطفالِ أو ما قبلَ المدرسة تُرْسِي إلى حَدٍّ بعيدٍ الدعائمَ الرئيسيةَ التي يقوم عليها تطوُّر نُمُوِّ شخصيةِ الطفلِ ، وهي الأساسُ التكوينيُّ الذي يقومُ عليه بناءُ الشخصيّةِ حيثُ تتحدَّدُ السماتُ الرئيسةُ للشخصيّة).[4]

ويمكننا إيضاح المعني الإجمالي للعنوان بـــ : بأن محور حديثنا حول كيف نمكن الوالدين من إدراك أهمية وضرورة الحرص على بناء القواعد العقدية الصحيحة التي ستُبنى عليها كافة المعارف والعقائد والقيم لاحقاً ، وأنه كلما كانت العناية باكراً كان الأثر والثبات أعمق .

---

(1) لسان العرب (٨ / ١٨٤) .

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣ / ١١٨) .

(3) ومما أورده القرطبي رحمه الله في معرض تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور :٥٩] قال القرطبي في معنى الآية (والمعنى: أن الأطفال أمروا بالاستئذان في الأوقات الثلاثة المذكورة، وأبيح لهم الأمر في غير ذلك كما ذكرنا. ثم أمر الله تعالى في هذه الآية أن يكونوا إذا بلغوا الحلم على حكم الرجال في الاستئذان في كل وقتٍ. وهذا بيانٌ من الله عز وجل لأحكامه وإيضاح حلاله وحرامه، وقال: ﴿ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ ولم يقل فليستأذنوكم. وقال في الأولى: ﴿ لِيَسْتَأْذِنكُمْ﴾ لأن الأطفال غير مخاطبين ولا متعبدين.

وقال ابن جريجٍ: قلت لعطاءٍ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ قال: واجبٌ على الناس أن يستأذنوا إذا احتلموا، أحرارًا كانوا أو عبيدًا. وقال أبو إسحاق الفزاري: قلت للأوزاعي ما حد الطفل الذي يستأذن؟ قال: أربع سنين، قال لا يدخل على امرأةٍ حتى يستأذن. وقاله الزهري: أي يستأذن الرجل على أمه، وفي هذا المعنى نزلت هذه الآية) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٨/١٢).

(4) علم نفس النُّمو . مريم سليم صـــ (١٩٧) .

المبحث الأول: أهمية التأسيس العقدي لدى الأطفال وعناية الإسلام به

إن العناية بتأسيس العقيدة في قلوب أطفالنا واجب نأتي به امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى واستشعارا لعظم النعمة والمسؤلية الملقاة على عاتقنا آباءً وأمهات لأسباب عدة هي :

أولاً: عناية الإسلام بعقيدة الأطفال

لقد اعتنى الإسلام عناية فائقة بعقيدة الطفل لأنّها القاعدة التي سوف يقوم عليها بناؤه ، وأهم جزء في أي بناء هو القاعدة ففيها يُبذل الجهد وتُبنى العقائد ، فمِن السهل غرس عقيدةٍ لكن مِن الصعب انتزاعها. فاعتناء الإسلام بسلامة العقيدة وحسن رعايتها بداية من الفطرة التي فطر الناس عليها قال تعالى ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ (سورة الروم ٣٠) قال القرطبيُّ رحمه الله : (اختلف العلماء في معنى الفطرة المذكورة في الكتاب والسنّة على أقوالٍ متعدّدة ، منها : الإسلام).[١]

ومن عناية الإسلام بعقيدة الأطفال التأكيد على أن سلامة الفطرة هي الأصل والتأكيد على واجب ومسؤولية رعاية فطرة الأطفال التي فطرهم الله عليها و أن أول مؤثر عليها هما الوالدان صلاحا أو انتكاسا فقال صلى الله عليه وسلم [**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ، هَلْ ترى فيها جدعاء**]. [٢]

فجمع النبيّ صلى الله عليه وسلم بين الأمرين: تغيير الفطرة بالتهويد والتنصير، وتغيير الخِلقة بالجدْع، وهما الأمران اللذان أخبر إبليس أنه لا بد أن يُغيّرهما؛ فغيَّر فطرة الله بالكفر، وهو تغيير الخلقة التي خُلِقُوا عليها، وغير الصورة بالجَدع والبَتْك، فغير الفطرة إلى الشرك، والخِلقة إلى البتك والقطع، فهذا تغيير خلقة الروح، وهذا تغيير خلقة الصورة[٣] فعلى الوالدين[٤] أن يحرص كلاً منهما على حماية هذه الفطرة السليمة ، فلا أهم

---

(١) وممن قال به أبو هريرة ﷺ ، وابن شهاب ، وغيرهما ، قالوا : وهو المعروف عند عامّة السلف مِن أهل التأويل . انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٤ / ١٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب : الجنائز / باب : ما قيل في أولاد المشركين (٢/١٠٤) رقم ١٣١٩ ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب : القَدَر / باب : معنى : كل مولود يُولَد على الفطـرة (٣/ ٢٠٤٧) برقم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ .

وقد وضح ابن القيم قوله صلى الله عليه وسلم (**فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**) بأنَّهم يغيِّرون الفطرة المخلوق عليها بذلك . انظر : أحكام أهل الذمة (٢/١٢١).

كما أجاد الشيخ السعدي حين قال (أما إهمال الأولاد: فضرره كبير، وخطره خطير. أرأيت لو كان لك بستان فَنمَّيته، حتى استنمت أشجاره، وأينعت ثماره، وتزخرفت زروعه وأزهاره. ثم أهملته فلم تحفظـه، ولم تَسقِه ولم تُنَقِّه من الآفات، وتعده للنموِّ في كل الأوقات، أليس هذا من أعظم الجهل والحمق؟ فكيف تهمل أولادك الذين هم فِلذة كبدك، وثمرة فؤادك، ونسخة روحك) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار صـ (١٥٤).

(٣) انظر : إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (١/١٨٦) .

وللاستزادة حول المراد بالفطرة انظر : شفاء العليل صـ (٢٨٦) ، الصفدية (٢/٢٤٤).

(٤) أهل السنة متفقون على أن غير الله لا يقدر على جعل الهدى والضلال في قلب أحد، فقد اتفقت الأمة على أن المراد بذلك دعوة الأبوين إلى ذلك، وترغيبهما فيه، وتربية الولد عليه، كما يفعل المعلم بالصبي، وذكر الأبوين بناءً على الغالب المعتاد، وإلا فقد يقع ذلك من أحدهما، ومن غيرهما حقيقةً وحكمًا . انظر : أحكام اهل الذمة (٢ /٩٧٠) .

ولا أعز من عقول حاجتها للعلم الصحيح و التأسيس القويم أعظم من حاجتها لطعام يقوم به صلبها فغاية إهمال غذاء الجسد مرضه لكن غاية إهمال رعاية العقول فسادها وضلالها وهلاكها إن لم يتداركها الله برحمته .

والعقيدة الإسلامية أساس الدين الحنيف وأصله ، وهي أساس العمل ، وهي كلٌّ لا يتجزّأ ، ولها عظيم الأثر في توجيه سلوك الإنسان ونمط تفكيره ؛ بل وفي تقرير مصيره .

ومن خلال النظر في المنهج القرآني في بناء الإنسان وإصلاحه وتكوينه يلاحظ أن أول قضية يتعرض لها القران ويوليها عناية مركزة هي قضية العقيدة فإذا تم هذا البناء فإن كل بناء بعده سيكون أسهل وأحرى أن يثمر وحين يثمر سيكون أثبت وأرسخ)[1]

وباستعراض نصوص الكتاب يتبين بأنه يُولِي العقيدة عناية كبيرة فهو دائماً يضع البناء العقدي الذي يعني بأصول الايمان وغيرها في المقام الأول ثم يتبعه الجوانب الأخرى ومن تلك النصوص قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّـــرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَـــــدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ (سورة البقرة: ١٧٧).

فتوحيد الله جلَّ وعلا هو الغاية التي خلقَ الثقلين مِن أجلها كما قال سبحانه : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ (الذاريات ٥٦) فالقاعدة أن الأسس إن أحسنا صناعتها كان البناء عليها ماضياً في الرسوخ والأثر الإيجابي بإذن الله ، ولنعي أننا نؤسس فينبغي (أن تكون المعلومات التي يستمدها الطفل عن طريق الإدراك الحسي في المرحلة الأولى من حياته هي المادة التي يستعين بها فيما بعد في تفكيره ، فهو يستعيدها في ذاكرته وينظمها بطريقةٍ تساعده على اكتشاف معلوماتٍ جديدةٍ)[2]، والشاهد أن الجهد ينبغي أن يبذل، والوقت ينبغي أن يصرف في تأسيس أبنائنا

([1]) انظر : جوانب البناء القرآني للإنسان وآلياته صــ (٢).

[2] القرآن وعلم النفس صــ (١٣٧) .

على العقيدة الصحيحة وتوحيده بدءًا بلا إله إلا الله محققين شروطها، مؤدين لحقها، ومن ثم نقوم البناء وفق ما نريد.

ثانياً: استشعار نعمة الذرية:

إن الله سبحانه وتعالى قد امتن علينا بنعم لا تعد ولا تحصى منها تلك النعمة العظيمة نعمة الذرية قال تعالى ﴿ **لِلَّه مُلْكُ السَّمَاوَات وَالْأَرْض يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذكور أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ﴾(سورة الشورى ٥٠) جاء في تفسير الآية : ﴿**لِلَّه مُلْكُ السَّمَاوَات وَالْأَرْض**﴾ له التصرف فيهما بما يريد، ﴿**يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً** ﴾ فلا يكون له ولدٌ ذكرٌ، ﴿ **وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذكور**﴾فلا يكون له أنثى﴿ **أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً**﴾ يجمع له بينهما فيولد له الذكور والإناث ،﴿**وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً** ﴾ فلا يلد ولا يولد له.

وقيل: هذا في الأنبياء عليهم السلام ﴿ **يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً** ﴾ يعني: لوطًا لم يولد له ذكرٌ إنما ولد له ابنتان، ﴿ **وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذكور**﴾ يعني: إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى ، ﴿ **أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً**﴾ يعني: محمدًا صلى الله عليه وسلم ولد له بنون وبناتٌ، ﴿**وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً** ﴾ يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما، وهذا على وجه التمثيل، والآية عامةٌ في حق كافة الناس.[1]

فالله سبحانه وهبنا لا لميزة لنا على خلقه إنما هو تقديره سبحانه وهو سبحانه المعطي وهو المانع وعلى من وعى الغاية أن يجعل هذه العطية قربة يتقرب بها لرضوانه سبحانه.

ثالثاً: الأطفال وحق الرعاية:

أطفالنا هبة الله لنا وهم أمانة استرعانا الله إياها وتشمل تلك الرعاية الفكر والجسد ونحن مسئولون عنها **قال صلى الله عليه وسلم (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، الإمَامُ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، والرَّجُلُ رَاعٍ في أهْلِ بَيْتِه وهو مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، والمرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا...]**[2]**،وقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ**

(1) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (٧/ ٢٠٠).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب : الجمعة / باب : الجمعة في القرى والمدن (٢١٥/١) ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب : الإمارة / باب : فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر (١٤٥٩/٢) برقم (١٨٢٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المعارج ٣٢) قال القرطبي[١] رحمه الله : (والأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولا فعلا)[٢]

وقد أرشدنا الخالق سبحانه إلى أن هذه النعمة يلزمنا العناية بها وحمايتها من الوقوع في سبل الضلال قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ (سورة التحريم ٦) قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ **وَأَهْلِيكُمْ** ﴾: (أولادكم ونساؤكم أَدِّبُوهُم وعلِّمُوهُم الخيرَ تَقُوهُم بذلكَ نارًا حطبها حجارةُ الكبريت ، وهي أَشَدُّ الأشياءِ حَرًّا)[٣] ، قال قتادة [٤] رحمه الله : (تأمرهم بطاعة الله ، وتنهاهم عن معصية الله ، وتقوم عليهم بأمر الله ، وتأمرهم به وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها).[٥]

وأول طاعة وأعظمها توحيد الله جلا وعلا وأكبر ذنب الإشراك معه سبحانه يقول جل وعلا ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّه فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ (سورة النساء ١١٦).

فكان لزاما على كل مربي أن يعي دوره في حماية هذه العقول غرسا ورعاية ويعي أن من أوجب الواجبات علينا حماية هذه الفطرة من الانحراف ؛ مبادرين بذلك فتنًا كقطع الليل المظلم يحتاج معها أطفال اليوم وجيل الغد إلى قاعدة عقدية قوية نمكن فيها أولادنا من الوقوف سداً منيعاً في وجه الشبهات والشهوات بإذن الله تعالى بعلمٍ فاحص وإيمان رادع بحوله وقوته سبحانه، وقدوة والديه حسنة مستحضرة في حركاتها وسكناتها قول النبي صلى الله عليه وسلم : [**مَا مِن عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً فَلَمْ يُحِطْهَا بِنُصْحِهِ إلاَّ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجنَّةِ**][٦]

([١]) هو : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرج القرطبي ، مِن كبار المفسِّرين ، صالحٌ متعبِّد ، رحلَ إلى الشرق واستقر بمصر وتوفي فيها ، له عدة مؤلفات منها : الجامع لأحكام القرآن – الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى – التذكرة ، توفي سنة (٦٧١ هـ).

انظر : شذرات الذهب (٥ / ٣٣٥) ، الأعلام (٥ / ٣٢٢) .

([٢]) الجامع لأحكام القران (١٢ / ١٠٧).

([٣]) تنوير المقباس مِن تفسير ابن عبّاس صـ (٤٧٧) .

([٤]) هو : قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ، الحافظ العلامة المفسِّر ، أحد رواة الحديث الأثبات ، توفي سنة (١١٨ هـ) . انظر : تذكرة الحفاظ (١ / ١٢٢) ، طبقات المفسرين (٢ / ٤٧) .

([٥]) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٣٩١) .

([٦]) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب : الأحكام/ باب : من استرعي رعية فلم ينصح (١٠٧/٨) عن معقل بن يسار ﷺ.

رابعاً :صلاح العقيدة أو فسادها وعلاقته بالقيم:

إن من دواعي العناية بصلاح عقيدة الأطفال أثر ذلك على صلاح القيم الأخلاقية لديهم للارتباط بين الأخلاق والعبادة والإيمان بالله ، قال ابن القيم رحمه الله (الدِّين كلُّه خُلقٌ، فمن زاد عليك في الخُلق زاد عليك في الدِّين) [1] ومتى كان الدافع لحسن الخلق هو الدين كان ذلك أقوى وأرسخ أثرا، فلا بد أن يعي الوالدان أن (عقيدة الإسلام ليست مجرد عقيدة قلبية مجردة معزولة في الوجدان، وليست مجرد ألفاظ تردد على الألسن أو تدون في الكتب، وليست مجرد تفكير عقلي أو ثقافة ذهنية فقط، وليست مجرد جهد بدني أو عمل جوارحي فقط، بل هي ذلك كله؛ إذ الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.)[2] فالعناية بإصلاح عقائد الأطفال سينعكس على صلاح أخلاقهم وقيمهم بشكل عام ، ولكن هنا ملحظ من الجيد التنبه له وهو أن حسن الخلق فطرة فطر الله عليها عبادة مالم ينازعها انحراف والدي أو مجتمعي ولكن (المسلم يجب عليه أن يحسن للخلق تعبداً لله عز وجل وحسبة، وأن يجعل هذا من أصول دينه وركائز منهج السلف ويدين بذلك.

والأمر الآخر أنه ينبغي أن يكون أسبق من غيره إلى حسن الأخلاق، فحسن الخلق عند الكافر قد يكون جبلياً وقد يكون لمصلحة وهو الغالب، وكذلك بعض الفساق والفجار وبعض أهل الأهواء قد يكون عندهم شيء من حسن الخلق؛ لأن حسن الخلق بصوره الكثيرة قد يكون من النزعات الإنسانية،لكن احتساب ذلك عند الله عز وجل والتدين به والمسابقة إليه والمسارعة هذا أمر زائد ينبغي أن يتحلى به المسلم).[3]

وحيث أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها فلنا فيمن حمل لواء تجديد الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله قدوة يحسن بنا السير على خطاها.

وسنستجلي سوياً معالم التأسيس العقدي للأطفال من خلال رسالته : تعليم الصبيان التوحيد؛ مدركين عناية السلف بعقيدة الأطفال وحسن رعايتها.

---

(١) مدارج السالكين (٣/٢٩٤).

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها (٣/١٩٩٢).

(٣) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها (٣/١٩٩٣).

المبحث الثاني: من معالم منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التأسيس العقدي للأطفال (رسالة تعليم الصبيان التوحيد أنموذجاً)

قبل التعرف على معالم منهج الشيخ في رسالته ؛ يحسن بنا التعرف على نبذة يسرة من سيرة الشيخ رحمه الله.

فالشيخ محمد بن عبدالوهاب من الأئمة الموحدين الداعين إلى العقيدة الصافية –عقيدة التوحيد– ومن الناصرين لمنهج أهل السنة والجماعة، اهتدى بما تربى عليه من صلاح وصفاء عقيدة إلى حمل لواء ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (سورة فصلت ٣٣) ، فاعتلى منبر الإصلاح، قائده كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ومن خلال صفحات هذا المبحث سنلقي الضوء على نبذة من سيرة هذا الإمام المجدد رحمه الله.

أولاً : نسبه:

هو: الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف. والمشارفة من وهبة من تميم .[١]

ثانيًا: مولده

ولد الشيخ سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية، في مدينة العيينة من بلدان نجد.

ثالثًا: نشأته:

نشأ في بيت علم وصلاح، فوالده كان عالما ذا معرفة تامة بالحديث والفقه، وكان قاضيًا.

وجدّه كان فقيه زمانه، متبحرًا في علوم المذهب، قد انتهت إليه الرئاسة في العلم، وكان علماء زمانه يرجعون إليه في كل مشكلة من الفقه وغيره.

ولذلك قال المعاصرون لهم: (ووالده هو مفتي تلك البلاد، وجده مفتي البلاد، وآثاره وتصانيفه وفتاواه تدل على علمه وفقهه، وكان جده إليه المرجع في الفقه والفتوى).[٢]

نشأ الشيخ مولعًا بحب العلم والمعرفة، والاطلاع على العلوم الشرعية، فحفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة، وكان حاد الفهم، وقَّاد الذهن، سريع الحفظ، فصيحًا فطينًا.[٣]

(١) للاستزادة انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١٢٥/١)، تاريخ نجد صـــ(٨١).
(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣٧٩/٢).
(٣) تاريخ نجد وروضة الأفكار صـــ(٨١)، عنوان المجد (٢٧/١).

رابعًا: شيوخه:

درس الشيخ على والده، متنقلاً معه من روضة سدير إلى العيينة ثم إلى حريملاء.

ورحل إلى البصرة والحجاز مرارًا، واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ، ورحل إلى الأحساء وهي إذ ذاك آهلةٌ بالمشايخ والعلماء.[١]

وقد سافر الشيخ من نجد إلى مكة المكرمة للحج والتزود من العلم.[٢]

خامسًا: تلاميذه:

تتلمذ على الشيخ ونهل من علمه كثيرٌ من علماء نجد ، يقول ابن بشر: (أخذ عنه من القضاة ممن لا يحضرني الآن عَدُّهُ عدد كثير، وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من الرؤساء والأعيان ومن دونهم الغفير).[٣]

سادسًا: مصنفاته:

للشيخ رحمه الله مصنفاتٌ أثرت المكتبة العلمية في العقيدة والحديث والفقه والتفسير (فألَّف مؤلفاتٍ نافعة[٤]، وكتبًا عليها المعوَّل في الدرس والحفظ والفهم).[٥]

ويقول ابن بشر: (وصنف غير ذلك عدة نسخ وأوراق وفتاوى ومراسلات فقهية وأصولية أكثرها في أصول التوحيد).[٦]

سابعًا: وفاته:

وبعد هذه الرحلة العامرة بالبذل والعطاء في سبيل نشر الدين والعلم، كانت وفاة هذا الإمام الجليل سنة (١٢٠٦هـ)، إذ ابتدأ المرض به في شوال، ثم كانت وفاته في يوم الاثنين من آخر الشهر، وله من العمر اثنان وتسعون سنة.

وقد توفي رحمه الله ولم يخلِّف دينارًا ولا درهمًا، بل ورَّث علمًا وافرًا غزيرًا انتفع منه القاصي والداني، وقد رثاه الشعراء، وأثنى عليه العلماء، رحمه الله رحمةً واسعة.[٧]

قال ابن قاسم في وصف جنازته رحمه الله (توفي رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى سنة ١٢٠٦؟، يوم الاثنين آخر شهر شوال، وكان يوما مشهودا؛ تزاحم الناس

---

(١) مصباح الظلام صـ(١٣٩).

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون (١٣١/١).

(٣) حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب صـ(١٤٠).

(٤) ومن تلك المؤلفات: كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد ، كتاب الإيمان ، أصول الإيمان ، فضائل الإسلام ، فضائل القرآن ، السيرة المختصرة ، السيرة المطولة ، مختصر الصواعق ، مختصر العقل والنقل ، مختصر منهاج السنة ، مختصر فتح الباري ، مختصر الهدي النبوي.

انظر: حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب صـ(١٤٤).

(٥) علماء نجد خلال ثمانية قرون (١٤٩/١).

(٦) عنوان المجد (١٠٢/١) وانظر: تاريخ نجد وروضة الأفكار صـ(٨٩).

(٧) انظر: تاريخ نجد صـ(٩٠).

على سريره، وصلوا عليه في بلده الدرعية، وخرج الناس مع جنازته الكبير والصغير، وحصل بموته الخطب العظيم، والفادح العميم).[1]

هذه نبذة من ترجمته رحمه الله فله قدم سبق في نشر العقيدة الصحيحة ولا غرو وهو مؤسس الدعوة الإصلاحية ،وقد كان لمؤلفاته صدى كبير وأثر عظيم النفع والفائدة.

معالم من منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التأسيس العقدي للأطفال من خلال (رسالة تعليم الصبيان التوحيد)

اعتنى الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بتعليم العقيدة الصحيحة لكافة فئات المجتمع والناظر في تراثه رحمه الله يلمس كيف كان اهتمامه بتعليم الدين السالم من شوائب الشرك لكل فئات المجتمع وكيف تميز رحمه الله بمراعاة حال المخاطب فرسائله للعامة[2] مثلاً يظهر عليها سهولة الأسلوب وفي رسالته للصبيان وهم تلك الأرض الغضة القابلة لما يغرس فيها نراه سلك منهجاً قريباً من خطاب العامة وإن خالفه في نوع اللغة.. وفي تخصيص الإمام رحمه الله الصبيان بهذه الرسالة ملمح يؤكد ضرورة العناية بهم فكما أسلفنا أنها عبادة نتعبد بها المولى بالاقتداء برسل الله صلوات ربي وسلامه عليهم بالدعاء لهم فهذا إبراهيم عليه السلام يدعو لذريته في قوله تعالى ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ**﴾ (سورة البقرة ١٢٨) ، ومن دعائه: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (سورة الصافات ١٠٠) ، وكان زكريا يدعو: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾ (سورة آل عمران ٣٨) ، ومدح الله عز وجل عباد الرحمن على قولهم : ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ (سورة الفرقان ٧٤) .

ولعل قراءةً في الرسالةِ – مناط حديثنا– تجلي لنا وبوضوح معالم منهجه رحمه الله فقد سار وفق الآتي:

أولاً : ذكر الهدف من تأليف الرسالة ، فقد جعل المؤلف رحمه الله **الهدف من تأليف الرسالة للصبيان** أن يصير مسلماً على فطرة الإسلام ، وموحداً على طريقة الإيمان.

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٣٤٠):

(٢) ويلاحظ انه كتب هذه الرسائل للعامة باللغة العامية ، وله بمن سبقه مسلك فهذا الحسن بن إسحاق بن أبي عباد اليمني النحوي صنف مختصرا في النحو مشهورا باليمن يقرأه المبتدئون قال فيه:

لعمرك ما اللحن من شيمتي   ولا أنا من خطإ ألحن
ولكنني قـــد عرفت الأنام   فخاطبت كلا بما يحسن

انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١/٥٠٠).

وفي هذا تنبيه للمعلم والمتعلم ، أن من أوائل ما ينبغي الوقوف عنده قبل الشروع في أي عمل أن نراجع غاياتنا وأهدافنا من وراء القيام بذلك العمل وهذا منهج ينبغي أن نربي عليه أنفسنا ومن نَعول ، قال ابن القيم رحمه الله : (وكل حي فله إرادة وعمل بحسبه، وكل متحرك فله غاية يتحرك إليها، ولا صلاح له إلا أن تكون غاية حركته ونهاية مطلبه : هو الله وحده، كما لا وجود له إلا أن يكون الله وحده هو ربه وخالقه)[1] ، وكل غاية لا توصل ثمرتها للغاية العظمى من خلقنا – وهي الغاية التي بصَّرنا بها الله جلَّ جلاله في كتابه العزيز في قوله ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ (سورة الذاريات ٥٦) – فليست في المسار الصحيح.

وتحديد الغاية مسلك تربوي ينبغي العناية به وغرسه لدى أبنائنا كي لا تتشعب بهم السبل ، فمن حدد غايته سيصل بإذن الله ولو طال به الزمن، كما نؤصل عند الأولاد مبدأ أن تحديد الهدف الرئيس يحتم على الإنسان أن يعمل على أن تكون كل غاياته بعدها – دينية كانت أو دنيوية – جميعها تدور في فلك ذلك الهدف الرئيس ولا تعارضه، وفي هذا تربية لهم على أن عقيدتهم ليست أقوالاً مجردة وإنما هي منهج حياة يؤطر كافة سلوكياتهم وفق غاية عظمى هي عبادته سبحانه.

ثانياً: انتهج المؤلف رحمه الله في تأليفه لرسالة تعليم الصبيان التوحيد طريقة السؤال والجواب (ويُعد السؤال من أهم وسائل بناء الجانب التعليمي لدى المتعلم) [2] ، وهذا منهج تربوي هام لغرس القيم ، فعقل الطفل نشبهه بالأرض ، والقيمة هي البذرة ، فمن الجهل أن نرمي البذرة دونما حرث وتجهيز للأرض، فهكذا عقل الطفل قبل أن نغرس فيه قيمةً ينبغي أن نجهز أرضه باستثارته بطرح الأسئلة ومن ثم نغرس القيمة العقدية في المحيط الذي تمت تهيئته.

كما أن السؤال يُعد (عماد المتعلم في تعليم صغار التلاميذ الذين لا يطيقون التلقي والاستماع طويلاً دون إثارة انتباههم وتجديد نشاطهم بالمناقشة وتوجيه الأسئلة). [3]

والتعليم بالحوار والسؤال منهج نستلهمه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حيث تجلى في العديد من المواضع ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ**

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٣٦).

٢ السؤال في القران الكريم وأثره في التربية والتعليم صـــ (٢٧٠).

(٣) فن التدريس للتربية اللغوية صـــ(٩٣٣) .

اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلّا الضّلاَلُ فَأَنّى تُصْرَفُونَ ﴾ (سورة يونس ٣١-٣٢) ، ومنها سؤال جبريل عليه السلام عن الايمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة.

فالشيخ رحمه الله رتب رسالته على طريقة سؤال وجواب مبتدئاً إياها بأسلوب حواري جاذب (إذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربي الله) [١] وهذا هو التعلم المبني على إثارة ذهن المتعلم، لينتقل بعده إلى فهم ذلك الامر وتفصيل معناه (مامعنى الرب؟ فقل المالك المعبود) ليخاطب بعد ذلك فكره بأن يعي بما يعرف ربه (فاذا قيل لك بما تعرف ربك ؟ فقل بآياته ومخلوقاته) فينتقل بعدها إلى الهدف والغاية التي من أجلها خلق الخالق سبحانه هذه المخلوقات وهذا منهج التربية على الأهداف والغايات (فإن قيل لك لأي شيء خلقك) ، لينتقل بعدها الى التخلية قبل التحلية موضحاً (أن الشرك هو أعظم ذنب عُصي الله به) ويقابله صفاء العبادة ، فمنهجه رحمه الله الحرص على سلامة التوحيد بالنجاة من الشرك.

ثالثاً: التكامل في طرح القضية ، فمنهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في تعليم الأطفال التوحيد هو التكامل في التعليم والتعلم[٢] ، فطرح السؤال عن من ربك ، ثم بعد المعرفة هل وعى معنى أنه رب له فهناك رب خالق نوحده بربوبيته ، ثم لازم هذا التوحيد وهو توحيد الألوهية ، ثم الانتقال إلى ما يعمق هذه المعرفة بالتفكر في آلائه ومخلوقاته الدالة على عظمته ، ثم هذا المربوب لا يخلق إلا لحكمة علمها من علمها وجهلها من جهلها ؛ فعرّفهم بالغاية من الخلق وأنها عبادته وحده وعدم الإشراك به ، ثم انتقل ليعلمهم أن جماع ذلك كله الإسلام ، وأنه الدين الذي لا يقبل الله من الخلق سواه ، وأن له أركان لا يستكمل أساسه إلا عليها ؛ موضحاً معنى الإسلام وأن تعريفه مشتمل على عدد من المبادئ ، الأول : الاستسلام لله بالتوحيد ، والثاني : الانقياد له بالطاعة ، والثالث : موالاة المسلمين والبراءة من الشرك ، ثم تعريفهم بوسيلة تبليغنا بهذا الدين وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيَّن أساس دعوته من إخلاص العبادة لله وحده وترك الشرك ، مبيناً لأصول الإيمان المنجي من الكفر ، ومَن أول الرسل وآخرهم ،

---

(١) وهذا معلم من معالم مؤلفات الشيخ رحمه الله في العناية بتعليم العقيدة من مرتكز هذه الأسئلة الثلاث ، فهي منبع الفلاح في الدنيا لمن حفظها وعمل بمقتضى الإيمان بها ، وفي الآخرة هي النجاة لمن ثبته الله وأجاب بها على الملكين في قبره . انظر : الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب

(٢) قال الآجري رحمه الله : (وأخبرنا أيضا خلف بن عمرو قال: حدثنا الحميدي قال : حدثنا يحيى بن سليم قال: سألت سفيان الثوري: عن الإيمان؟ فقال: «قول وعمل» وسألت ابن الجريح، فقال: «قول وعمل» وسألت محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، فقال: «قول وعمل» ، وسألت نافع بن عمر الجمحي، فقال: «قول وعمل» ، وسألت مالك بن أنس، فقال: «قول وعمل» وسألت فضيل بن عياض، فقال: «قول وعمل» وسألت سفيان بن عيينة، فقال: «قول وعمل» ، قال الحميدي: وسمعت وكيعا يقول: " أهل السنة يقولون: الإيمان قول وعمل والمرجئة يقولون: الإيمان قول، والجهمية يقولون: الإيمان المعرفة) الشريعة (٢/ ٦٣٩).

ومَن أولو العزم من الرسل ، وأفضل الخلق بعد رسول الله ، وكذلك القرون ، والتعريف بأعظم فتنة وهي المسيح الدجال .

تلك المبادئ لو غُرِست لدى الطفل موضحين معناها مبينين لحدودها لبنينا وقاية هامة يستطيع بها الطفل بعد أن يكبر مواجهة ورد كل فكر مخالف لهذه القناعات التي سُقيت بمعين الكتاب والسنة .

رابعاً: سار المؤلف رحمه الله في تدوينه هذه الرسالة على منهج السلف الصالح في تقرير العقيدة ، فيسوق العقيدة ثم يتبعها بالشواهد عليها من الكتاب والسنة وما بلغه من أقوال السلف رحمهم الله في إيضاحها [1] ، وذلك كما في المثال التالي :

ســـ ٤ : فإن قيل لك: لأي شيء خلقك؟

جــ : فقل : لعبادته وحده لا شريك له، وطاعته بامتثال ما أمر به، وترك ما ينهى عنه، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ (سورة الذاريات ٥٦). وكما قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ** ﴾ (سورة المائدة:٧٢).

والشرك : أن يجعل لله نداً يدعوه ويرجوه، أو يخافه، أو يتوكل عليه، أو يرغب إليه من دون الله، وغير ذلك من أنواع العبادات، فإن العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، ومنها الدعاء، وقد قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ (سورة الجن ١٨) ، والدليل على أن دعوة غير الله كفر: كما قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ (سورة المؤمنون ١١٧) ، وذلك أن الدعاء من أعظم أنواع العبادات، كما قال ربكم:﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ (سورة غافر ٦٠) ، ولما فرض الله على عباده الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾(سورة النحل٣٦)، والطاغوت: ما عبد من دون الله، أو الشيطان، والطاغوت، والكهانة، والمنجم، ومن يحكم بغير ما أنزل الله، وكل متبوع مطاع على غير الحق.

---

(1) وقد ألزم نفسه رحمه الله أن يسير في دعوته على الكتاب والسنة بالقول والفعل، وأن يأخذ بما قرره علماء المسلمين الثقاة في مسائل الاجتهاد مما لا نص فيه من كتاب أو سنة أو إجماع .

انظر : اعتماد فقه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة صـــ (٢٧١).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: الطاغوت: ما يجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع). [1]

وفي هذا مسلك تربوي للآباء بأن يُربط الأبناء بالأدلة من الكتاب والسنة ، فما من خير إلا وفي معيني الكتاب والسنة ما حثنا عليه ، وما من شر إلا وفيهما ما ينهانا عنه.

خامسا: مما تميز به منهج الشيخ رحمه الله ؛ رعاية الفطرة ، ويتجلى ذلك في الجواب على سؤاله : بما عرفت ربك ؟ حيث أجاب بأن المعرفة تكون عن طريق النظر والتفكر في آلائه ومخلوقاته ، (ومن تدبر كتاب الله ومخلوقاته وجد من الآيات المتلوة والحسية والأخبار المنقولة ما يدل على أنه سبحانه المستحق للعبادة جل وعلا) . [2]

كما أن الفطرة من طرق معرفة الخالق سبحانه (فمعرفة الله عزَّ وجلَّ تحصل بثلاثةِ طُرُق : بالفطرة ، وبالعقل، وذلك بالنظر والتفكر في مخلوقات الله عز وجل ، وبالوحي)[3] ، وهذا ما عليه السلف الصالح ، خلافا للمتكلمين ومنهجِهم في الاستدلال على وجود الله ومعرفته والذي بين ضلاله شاهدٌ منهم ؛ حتى قال قائلهم : (ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدةً تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم ؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات وما ذاك إلا العلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية.

فلهذا أقول كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء في القدم والأزلية، والتدبير والفعالية فذاك هو الذي أقول به، وألقى الله تعالى).[4]

فالوسائل السليمة توصل للغايات والثمرات المرجوة ، فمن عرف ربه بآلائه ومخلوقاته واعتصم بإسلامه متبعاً نبيه فهذا بإذن الله سيعصمه من الشرك.

---

(1) تعليم الصبيان التوحيد صـــ (٢٣-٢٤).

(2) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٦٨/٢).

وللاستزادة انظر : شرح ثلاثة الأصول صـــ(٤٧).

٣ شرح القصيدة الدالية صـــ (٤٨).

٤ المحصول (٦٨/١).

الخاتمة والتوصيات:

نحمد الميسر سبحانه على جليل كرمه وجزيل توفيقه، وفي ختام هذا البحث الذي وقفنا من خلاله على أهمية التأسيس العقدي للأطفال، وكيف اعتنى به الإسلام؛ والذي تجلى واضحاً في دعوات الأنبياء عليهم السلام لذرياتهم، وإذا علمنا تلك القاعدة الهامة – وهي أنه (ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظاً، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً ، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان)[1]– فلاشك بأنه سيولد لدينا همة عالية في العناية بالتأسيس العقدي للأطفال ، ولا عذر لنا والأبواب مشرعة ، ومن الأبواب –الرسالة – مناط الدراسة ؛ إذ أن اعتناء الوالدين بتلقينها لأطفالهم ابتداءً ثم شرحها ، ويكتمل العِقد حينما يُدعم ذلك بالقدوة الحسنة من الوالدين[2] فسيكون لهذا اثره عليهم بحول الله في مستقبل حياتهم ، مراعين منهج الشيخ العملي في تعليم أطفالهم صنوف العلوم لتوافقه مع المنهج النبوي والأسس التربوية .

كما أوصي الباحثين في المجال الشرعي والتربوي بالآتي:

١/ العناية بالجانب العقدي للأطفال والعمل وفق خطط مرسومة محددة وصناعة البرامج الخادمة في هذا الشأن مع تعاضد كافة الجهات المتعلقة بالأسرة ليؤتي الجهد ثماره بإذن الله .

٢/ تحليل مصادر الشيخ رحمه الله في البناء العقدي وتحليل البيئة التي عاشها وأثرها في تركيزه على جوانب دون غيرها.

٣/ حصر ما استجد من انحرافات ، ووضع مختصرات عقدية وفق منهج الشيخ رحمه الله في التأليف.

هذا وصلي اللهم وسلم على عبدك وسولك محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) قواعد العقائد صـــ (٧٥).

(٢) إذْ يبدأُ الطفلُ في التقليد في نهاية السنةِ الأولى لاعتماده على الملاحظةِ المباشرةِ للفعلِ ، وعندما يصلُ الطفلُ إلى سِنِّ السنتين يكونُ بإمكانهِ تكوينُ صورةٍ ذهنيةٍ لما يقعُ حوله والاحتفاظُ بتلكَ الصور واسترجاعها حينما تتسع دائرةُ الأفعال التي يقوم بتقليدها إلى أبعد حَدٍّ مُمْكِن .
وللاستزادة انظر : الأطفال مرآة المجتمع النمو النفسي والاجتماعي للطفل صـــ (٣٧٣) .

المراجع:

- أحكام أهل الذمة- محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، محمد عزير شمس ، دار عطاءات العلم ، الرياض ، ط٢، ١٤٤٢ هـ
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١ ١٤١٤ هـ
- الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ، محمد بن عبد الوهاب ، ناصر الطريم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض
- أصول العقيدة للعامة ، محمد بن عبد الوهاب ، إسماعيل الأنصاري ، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض
- اعتماد فقه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة : صالح الأطرم : عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام ، الرياض ط٢، ١٤١١هـ
- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة ١٥
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان- ابن قيم الجوزية- ت- محمد حامد الفقي ، مكتبة المعارف، الرياض
- الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، سعيد بن ناصر الغامدي - دار الأندلس الخضراء -جدة – ط١ ١٤٢٤ هـ
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، محمد إبراهيم ، المكتبة العصرية - لبنان
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن ابن سعدي، عبد الكريم الدريني ، مكتبة الرشد ، ط١ ، ١٤٢٢هـ
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد الزَّبيدي ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، ١٤٢٢ هـ
- تاريخ نجد وروضة الأفكار والأفهام، حسين بن غنام، ناصر الدين الأسد، دار الشروق ط٤، ١٤١٥هـ
- تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ ، ابن المِبْرَد الحنبلي ، نور الدين طالب ، دار النوادر، سوريا ، ط١، ١٤٣٢ هـ
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت جماعة من العلماء بإشراف الناشردار الكتب العلمية بيروت -لبنان ط١ ١٤٠٣هـ

- التعليقات السنية على العقيدة الواسطية، محمد التميمي، عبد الجبار آل ماجد الناشر: دار الأماجد - الناشر المتميز الطبعة: الأولى، ١٤٤٢ هـ
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير، محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٩هـ
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، دار الكتب العلمية – لبنان
- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة
- جوانب البناء القرآني للإنسان وألياته ، محمد حسين ومصطفى فؤاد
- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إسماعيل الأنصاري، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط2، ١٤٢٠هـ
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، عبد الرحمن ابن قاسم ، ط٦ ، ١٤١٧هـ
- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها -دكتور رؤوف شلبي - دار القلم،ط٣
- السؤال في القران الكريم وأثره في التربية والتعليم أحمد بن عبدالفتاح الضليمي مجلة الجامعة الإسلامية عدد ١١١.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد العَكبري ، محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق ،ط١، ١٤٠٦ هـ
- شرح ألفية ابن مالك ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، مكتبة الرشد،ط١، ١٤٣٤هـ
- شرح القصيدة الدالية ، عبد الرحمن البراك ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، ١٤٣٠هـ
- شرح ثلاثة الأصول -محمد العثيمين- دار الثريا ط٤ ١٤٢٤هـ
- الشريعة ، الآجُرِّيُّ ، عبد الله الدميجي ، دار الوطن – الرياض ، ط٢، ١٤٢٠ هـ
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن قيم الجوزية ، زاهر بَلفقيه ، دار عطاءات العلم ، الرياض ، ط٢، ١٤٤١هـ
- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، مصطفى البغا ، دار ابن كثير –دمشق ، ط٥، ١٤١٤هـ
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ

- الصفدية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية، مصر ، ط٢، ١٤٠٦هـ
- طبقات المفسرين ، محمد بن علي الداوودي ، دار الكتب العلمية – بيروت
- علم نفس النُّمُو . مريم سليم
- عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، عبدالرحمن آل الشيخ، ط٤، ١٤٠٢هـ
- فن التدريس للتربية اللغوية ، محمد سمك ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٩م
- القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، محمد العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٨ ، ١٤٢٦ هـ
- القرآن وعلم النفس – محمد عثمان نجاتي – دار الشروق – القاهرة – ط ٧، ١٤٢٧ هـ
- قواعد العقائد، محمد بن محمد الغزالي، موسى محمد علي، عالم الكتب – لبنان ط٢، ١٤٠٥هـ
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، ابن منظور الأنصاري ت اليازجي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر – بيروت ط ٣ - ١٤١٤ هـ
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة- عبد العزيز ابن باز، محمد الشويعر- رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية
- المحصول- فخر الدين الرازي، طه العلواني، مؤسسة الرسالة ، ط٣، ١٤١٨هـ
- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، محمد البغدادي، دار الكتاب العربي،ط١٣
- مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام،عبد اللطيف بن عبدالوهاب، عبد العزيز آل حمد ، وزارة الشؤن الإسلامية ، الرياض ، ط1 ، ١٤٢٤
- معالم التنزيل في تفسير القرآن أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ت محمد النمر- عثمان ضميرية – سليمان الحرش، دار طيبة ط١٤١٧ هـ
- المعجم الوسيط ، مجموعة مؤلفين، دار الدعوة
- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس، عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ
- النمو النفسي والاجتماعي للطفل، محمد إسماعيل، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٨٦م
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، طاهر الزاوى ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ